سنن الله الإجتماعية في ضوء القرآن الكريم
«ترتب الجزاء على العمل نموذجاً»

أ. م. د. محمد حامد حسن عطية

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة

بالمنصورة - فرع جامعة الأزهر بجمهورية مصر العربية

ملخص البحث

تناولتُ في هذا البحث بيان العلاقة بين السنن الإلهية الاجتماعية وعلم الاجتماع، كما بَّينتُ خصائص سنن الله الاجتماعية، وأثر معرفتها في العلوم الإنسانية، ووجَّهتُ دراستي لتجلية معالم المنهج القرآن الكريم في سنة ترتب الجزاء على العمل كإحدى السنن الاجتماعية، وذكرت أنواع الشواهد القرآنية التطبيقية لسنة ترتب الجزاء على العمل مع التمثيل لها، وأفدت في بحثي من المنهجين الوصفي والتحليلي، وأسفر البحث عن بعض النتائج لعل من أهمها إظهار العلاقة الوطيدة بين السنن الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم، وعلم الاجتماع البشري على اختلاف مجالاته وفروعه، وإبراز معالم المنهج القرآني في سنة ترتب الجزاء على العمل، وهي جديرة بالإفادة منها، والانتفاع بها في حياتنا العلمية والعملية، وقد ذكرت منها اثني عشر معلما، وأوصى البحث بجملة من التوصيات كان من بينها الدعوة إلى دراسة أفراد السنن الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم، وبيان أثرها في الناحية العلمية والعملية، ووجه ارتباطها بالعلوم الإنسانية، وتأثيرها فيها.

الكلمات المفتاحية: «السنن- الاجتماعية- الجزاء- العمل- علم الاجتماع».

Allah social norms in light of the Holy Quran The outcome for work is an example

Dr. Mohamed Hamed Hassan Attia

Assistant Professor in the Department of Interpretation and Qur'anic Sciences at the Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Mansoura - Al-Azhar University - Egypt

University email Hmohammed16@azhar.edu.eg

Summary of the research: In this research, I dealt with explaining the relationship between God's social laws and sociology, and I also explained the characteristics of God's social laws And the impact of its knowledge on the human sciences. I directed my study to clarify the features of the Holy Qur'anic approach in a Sunnah that necessitates outcomes for work as one of the social norms. I mentioned the types of applied Qur'anic evidence for a Sunnah that necessitates reward for work while representing it. I benefited in my research from the descriptive and analytical approaches, and the research yielded some results. Perhaps the most important of them is showing the close relationship between social norms in the light of the Holy Qur'an, and human sociology in its various fields and branches, and highlighting the features of the Qur'anic approach in a sunnah that assigns reward to work, and it is worthy of benefiting from it and benefiting from it in our scientific and practical life, and I have mentioned twelve of them. As a landmark, the research recommended a number of recommendations, among which was the call to study individuals of social norms in the light of the Holy Qur'an. Explaining its impact in the scientific and practical aspects, and its connection to the human sciences and its impact on them.

Key words: Social norms -outcomes -work-social science -method.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين أمَّا بعدُ:

فإن الله عز وجلَّ قد ذكر في كتابه العزيز جملةً من السنن الإلهية في خلقه، وبيَّنها أحسن بيانٍ، وهذه السنن الإلهية حقيقة بالدراسة جديرة بالعناية سواء أكانت متعلقة بالكونيات وتسمى بالسنن الكونية، أم كانت متعلقة بالإنسان وتسمى بالسنن الاجتماعية.

وفي هذا البحث «**سنن الله الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم - ترتب الجزاء على العمل نموذجا**» تسليطُ الضوء على السنن الاجتماعية تأصيلا وتطبيقا على إحدى هذه السنن.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

١- **العلم بالسنن الإلهية لا سيما الاجتماعية أحد** العلوم النافعة الواجب على الأمة تدوينها.

قال صاحب تفسير المنار:» إن إرشاد الله إيانا إلى أنَّ له في خلقه سننا **يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة** لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، ..... **والعلم بسنن الله - تعالى - من أهم العلوم وأنفعها**»[1].

ولذا فقد رغبت في الكتابة في جانب من جوانب هذا العلم تأصيلا وتطبيقا بما يفتح الله ويمنُّ.

٢- **الرغبة في تجلية ما لهذه السنن -تأصيلا وتطبيقا- من خصائص** تجعلها جديرة بالنظر فيها والإفادة منها في فروع العلوم الإنسانية، لاسيما علم الاجتماع على اختلاف مجالاته.

٣- **مناسبة هذا البحث لهذا المؤتمر العلمي الدولي** الموسوم بـ «التكامل المعرفي لعلوم النص مع العلوم الإنسانية» إذ إن البحث من مقاصده فتح الآفاق أمام علم الاجتماع أحد العلوم الإنسانية للإفادة من السنن الاجتماعية المبثوثة في القرآن الكريم نظرا وتطبيقا.

مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث مشكلة بحثية يمكن بيانها من خلال طرح جملة من الأسئلة من أبرزها:

١- ما العلاقة بين السنن الإلهية الاجتماعية وعلم الاجتماع؟

٢- ما خصائص سنن الله الاجتماعية ؟ وما أثر معرفتها في العلوم الإنسانية؟

---

(١) تفسير المنار(١١٤/٤).

٣- ما معالم المنهج القرآن الكريم في سنة ترتب الجزاء على العمل؟

٤- ما أنواع الشواهد القرآنية التطبيقية لسنة ترتب الجزاء على العمل؟

خطة البحث:

ينتظم هذا البحث الوجيز في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة فيها أبرز النتائج والتوصيات، ويليها أهم مصادر البحث ومراجعه.

المبحث الأول: سنن الله الاجتماعية مفهومها وخصائصها وعلاقتها بعلم الاجتماع. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سنن الله الاجتماعية مفهومها وأهم خصائصها.

المطلب الثاني: علاقة سنن الله الاجتماعية بعلم الاجتماع.

المبحث الثاني: سنة ترتب الجزاء على العمل تأصيلا وتطبيقا في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الأول: معالم المنهج القرآني في سنة ترتب الجزاء على العمل.

المطلب الثاني: شواهد قرآنية تطبيقية لسنة ترتب الجزاء على العمل.

منهج البحث:

أسلك في هذا البحث منهجا يجمع بين المنهج الوصفي والتحليلي، وراعيت فيه ما يقتضيه البحث العلمي من عزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، وتوثيق الأقوال والرجوع إلى المصادر الأصيلة إلى غير ذلك من إجراءات البحث العلمي.

الدراسات السابقة والجديد في البحث:

كثُرت الكتابةُ في السنن الإلهية في عصرنا الحديث- بعد أن كان الكلام فيها قليلا، ومحدودا قبل تفسير المنار- ودونت بحوث مستقلة في السنن الاجتماعية كمفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم د. صديق عبد العظيم أبو الحسن ، والسنن الاجتماعية في القرآن الكريم وعملها في الأمم والدول دراسة تأصيلية تطبيقية على الأمم المسلمة وغير المسلمة د. محمد أمحزون وغيرهما، ولكلٍّ جهده ووجهته التي يمم إليها في بحثه ، وقد أفدت من هذه البحوث في مفهوم السنن الاجتماعية وخصائصها، وبدت لي ملحوظات وإضافات ذكرتها في البحث.

وأمَّا ما يتعلق بسنة ترتب الجزاء على العمل فقد جعلت عمدتي فيه القرآن الكريم نفسه أستخرج منه معالم منهجه في هذه السُنَّة، وأتلمس هداياتها منه ، وأقف عند شواهدها التطبيقية فيه مستنيرا بكلام سادتنا المفسرين وعلمائنا السابقين.

ولعلي أكون على حق إذا قلت: مما تتميز به هذه الدراسة - فيما أحسب-

ا- الربط بين دراسة هذه السنن من خلال القرآن الكريم وعلم الاجتماع كأحد العلوم الإنسانية.

٢- تجلية معالم المنهج القرآني في تقرير سنة ترتب الجزاء على العمل.

٣- دفع إشكالات واردة في فهم سنة ترتب الجزاء على العمل والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: سنن الله الاجتماعية مفهومها وخصائصها وعلاقتها بعلم الاجتماع.

المطلب الأول: سنن الله الاجتماعية مفهومها وأهم خصائصها.

أولا- تعريف السنن لغةً واصطلاحا

أ- السنن لغة: جمع سُنَّة ويراد بها في اللغة «الطريقة والسيرة»[١]، أو «العادة»[٢]، أو «الطريقة المعتادة»[٣].

قال ابن فارس: «السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة»[٤].

وحاصل كلام أهل اللغة في معنى هذه الكلمة أنها الطريقة المتبعة والعادة المستمرة والسيرة المسلوكة حسنة كانت أو سيئة.

ب- السنة اصطلاحا:

تُعَرَّفُ السنة في الاصطلاح بحسب ما تضاف إليه (سنة الله- سنة الرسول- سنة الإنسان) أو بحسب ما يراد بـ (أل) في «السُنَّة» إذا جعلناها عهدية تنصرف إلى معهود مُعَيَّن.

فسنة الله «قد تقال لطريقة حِكمته، وطريقةِ طاعته»[٥]، **وسنته عز وجلَّ:** عادته سبحانه الماضية في خلقه وتقديره و» نظامه يجريه في خلقه كما يريد»[٦].

و «سنة الإنسان الشيء الذي يعمله ويواليه»[٧]. و «هي السيرة من العمل أو الخُلُق الذي يلازم المرء صدور العمل على مثالها»[٨] وأما سُنَّةُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم فهي في الأصل طريقته التي واظب عليها وكان يتحرّاها، ولها جملة من التعريفات الاصطلاحية نظرا لتعدد استعمالها في العلوم الشرعية ؛ فقد استعملها المُحدِّثون والمتكلمون، والفقهاء والأصوليون، ولكلٍّ اصطلاحُه في استعماله لها وبحسب

---

(١) لسان العرب لابن منظور- حرف النون- فصل السين المهملة- مادة: سنن(١٣/٢٢٥-٢٢٦).

(٢) التعريفات للشريف الجرجاني صـ١٢٢

(٣) النكت والعيون للماوردي(٤/٤٠٨).

(٤) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس- كتاب السين- باب ما جاء من كلام العرب وأوله سين في المضاعف- مادة: سن(٣/٦٠).

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ٤٢٩

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم- مجمع اللغة العربية- صـ٦٠١

(٧) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(٣/٣٤٤)

(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور(٤/٩٦)

الغرض الذي يعتني به كل منهم[1].

ثانيا- معنى الاجتماعية: مصدر صناعي فِعْلُه اجتمع من الجَمع وهو:» ضمُّ الشيء بتقريب بعضه من بعض. يقال: جمعته فاجتمع»[2].

وموضوعه في هذه الدراسة: الإنسان وعلاقته بالأفراد الذين يعيشون معه في المجتمع، وعلاقة هذا المجتمع بالمجتمعات الأخرى.

ثالثا- الاقتران بين سنن الله الكونية وسننه الاجتماعية

لله عز وجل سننٌ في خلقه تُعرَف بالسنن الإلهية، وهذه السنن منها ما هو متعلق بالكون من ظواهر، وأحداث مادية ، وقد اصطلح المعاصرون على تسميتها بالسنن الكونية، أو السنن الطبيعية ومنها ما هو متعلق بالبشر وسلوكهم وأفعالهم، وشئونهم ، واصطلحوا على تسميته بالسنن الاجتماعية أو الإنسانية.

قال في تفسير المنار عند قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ سورة الأنعام: ١٦٥: «**هذه الآية مبينة لبعض أحوال البشر التي نعبر عنها في عُرف هذا العصر بالسنن الاجتماعية**»[3].

وقد قرن الله عز وجل في مواضع كثيرة بين السنن الكونية والسنن الاجتماعية كاقتران سنة الله في الجزاء على العمل، وسنته في رزق العباد، وسنته في التشريع بسنته في خلق السماوات والأرض[4].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن سنن الله الكونية هي آيات الله في الآفاق، وسنن الله في شئون البشر هي آيات الله في الأنفس، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ سورة فصلت:٥٣، والسين في قوله تعالى: «سنريهم» لا تقتضي أنه تعالى لم يطلعهم على تلك الآيات قبلُ، وأنه سيريهم إياها بعد ذلك، لأن» القوم وإن كانوا قد رأوا هذه الأشياء إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء مما لا نهاية لها، فهو تعالى يطلعهم على تلك العجائب زمانا فزمانا»[5].

رابعا: مفهوم سنن الله الاجتماعية

ومن تعريفاتهم لسنن الله الاجتماعية أنها : «وقائع الله التي جرت عادته بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية التي استمرأوها ولم يتحولوا عنها، ثوابا لمن وافقوا منهج الله، أو عقابا لمن كفروا أو شاقوا الله

---

(١) ينظر: شرح التلويح على التوضيح لسعد الدين التفتازاني(٣/٢)، والتعريفات للشريف الجرجاني صـ١٢٢- وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني(٩٥/١).

(٢) المفردات في غريب القرآن صـ٢٠١.

(٣) تفسير المنار(٢٢٠/٨).

(٤) لمزيد من أنواع هذا الاقتران بين السنن الكونية والسنن الاجتماعية ينظر: إعجاز النظم القرآني في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية د توفيق بن علي زبادي.

(٥) مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي(٥٧٤/٢٧).

ودعاته، أو ابتلاء للمؤمنين، أو إملاء، أو استدراجا للطغاة، وكذا ما وضع الله لعباده من شرائع»[1].

ويؤخذ على هذا التعريف:

١- طول التعريف والأصل في التعريفات الإيجاز.

٢- توسعه في التعريف إذ أدرج فيه ما وضع الله لعباده من شرائع في السنن الاجتماعية.

٣- ويلاحظ أيضا أنه نص على بعض السنن في أثناء التعريف كسنة الثواب للمطيع، والعقاب للعاصي(سنة ترتب الجزاء على العمل)، وسنة الابتلاء، وسنة الإملاء، ومحلها الشرح للتعريف، والتمثيل عليه؛ ولذا أرى أنه يمكن الاقتصار في تعريف سنن الله الاجتماعية بالشق الأول من هذا التعريف:» وقائع الله التي جرت عادته بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية التي استمرأوها ولم يتحولوا عنها» وأما بيان هذه السنن فمحله الشرح والتفصيل، وما وضع الله لعباده من شرائع فمحله التشريع ومقاصده، والفقه وقواعده، ولنا أن نوجز فنقول سنن الله الاجتماعية هي : عادات الله عز وجلَّ الماضية في شئون أفراد البشر وأممهم.

خامسا: خصائص سنن الله الاجتماعية:

من أبرز خصائص سنن الله الاجتماعية أنها :

١- ربانية المصدر

السنن الإلهية أضافها الله عز وجل إليه؛ لأنه هو الذي سنها، وقضى بها، وبيَّنها للخلق.

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ سورة الفتح: ٢٣.

وما ورد من إضافة السُّنَّة إلى الرسل في قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾: سورة الإسراء: ٧٧ فـ «لأنها من أجلهم ويدل عليه: ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ أي تغييرا»[2]، وكذا ما جاء في **قوله تعالى:** ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ من إضافتها إلى الأولين فَلِتَعلقِها بهم.

قال ابن عاشور: «وإضافتها إلى الأولين باعتبار تعلقها بهم، وإنما هي سنة الله فيهم؛ لأنها المقصود هنا، والإضافة لأدنى ملابسة»[3].

وأما السنن بصيغة الجمع فقد أضيفت إلى الخلق في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ سورة النساء:٢٦ والمراد أنه يهديكم «مناهج من تقدمكم من الأنبياء والصالحين؛ لتقتفوا آثارهم وتتبعوا سيرهم»[4]، والمراد بالهداية هنا «الهداية إلى أصول ما صلح به حال الأمم التي

(١) مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم د. صديق عبد العظيم أبو الحسن صـ٥٦

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي(٢٦٤/٣).

(٣) التحرير والتنوير(٢٥/١٤).

(٤) روح المعاني للألوسي(١٤/٣).

سبقتنا، من كليات الشرائع، ومقاصدها»[1]؛ فتكون الآية كقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيه ﴾ سورة الشورى:١٣.

فالله عز وجل هو شرع هذه السننَ، ووفق إليها والأنبياء والصالحون اتبعوها واقتفوا آثارها.

٢- **يقينية** : السنن الإلهية تختلف عن غيرها من علوم البشر وقوانينهم بأنها ليست خاضعة للتجربة والتخمين؛ لارتباطها بالوحي المعصوم، ولأن الذي سنَّها وربط الناس بها هو الله الخالق العليم القدير قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ سورة الملك:١٤.والأمر بالسير في الأرض إنما هو لاستجلائها، ومعاينة تطبيقاتها، والازياد من معرفتها.

٣- ثابتة

والمراد بالثبات هنا الاستقرار والدوام وهو ضدُّ الزوال، فسننُ الله لا تتبدل ولا تتحول؛ لأنها خاضعة لإرادة الله سبحانه وتعالى فلا يعتريها ما يعتري إرادات الخلق من تَحوُّل أو تردد، ولأنها موافقة لحكمته التي لا تنفك عن أفعاله وتقديراته.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ سورة

فاطر:٤٣ والمراد أن عادته سبحانه في العذاب والانتقام من مكذبي الرسل لا تتخلف ولا تختلف فلا يبدلها في ذاتها ف»لا تقع الكرامة في موقع العقاب، ولا يترك عقاب الجاني»[2]، «ولا يحولها عن أوقاتها»[3] أو لا يحولها إلى غيرهم.

٣- مُطَّرِدَة

سنن الله الاجتماعية مطردةٌ تتحقق آثارها وتتكرر كلما توفرت شروطها وانتفت موانعها ؛ ولذا وردت في موضع الاعتبار بها، والقياس عليها؛ لأنها لو لم تكن مطردة ما صح القياس عليها، ولا الاعتبار بها.

ومن الفروق بين السنن الكونية والسنن الاجتماعية أن الأولى قد تتخلف أو تنخرم لتحقيق اطراد السنن الاجتماعية كما في المعجزات؛ إذ هي خارقة للعادة الجارية في الأصل كانشقاق القمر لنبينا صلى الله عليه وسلم، وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام فهما على خلاف العادة، ولكن وقع ذلك لتحقيق السنن الاجتماعية من تأييد المرسلين، وإقامة الحجة على أممهم.

---

(١) التحرير والتنوير(٢٠/٥).

(٢) التحرير والتنوير(٣٣٨/٢٢).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل(٩٣/٣).

ومن دلائل اطراد السنن الاجتماعية: دعوة القرآن المتكررة إلى النظر في تاريخ الأمم وقصص المرسلين وبيان نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين الظالمين.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ سورة يوسف: ١١١، وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ سورة آل عمران:١٣٧.

٤- عامة وشاملة

هذه السنن التي أخبرنا الله عنها قوانين عامة تحكم سلوك البشر وأفعالهم، ومِن ثمَّ فإنها تصدق على أي مجتمع، وتعم كل إنسان في كل مكان وزمان ويشهد لذلك أنها لو لم تكن عامة وشاملة ما صح الاعتبار بها ولا الدعوة إلى النظر فيها لقياس الغائب على الشاهد، وما لم يقع على ما وقع وحصل.

المطلب الثاني: علاقة سننِ الله الاجتماعية بعلم الاجتماع.

أولا: السنن الاجتماعية علمٌ من أهم العلوم النافعة ورافد مُهمٌ للعلوم الإنسانية

سنن الله الاجتماعية لها صلة وثيقة بالعلوم الإنسانية عامة، وعلم الاجتماع خاصة؛ وذلك لأن موضوع هذه العلوم هو الإنسان بيد أن تقرير هذه السنن في القرآن الكريم أمدَّها بتلك الخصائص التي تقدم ذكرها من ربانية المصدر، واليقينية، والثبات، والاطراد، والشمول والعموم، وهذا يجعلها جديرة بأن تكون أصلا يرجع إليه في إصلاح شئون البشر وتقويم سلوكهم، ورافدا للعلوم الإنسانية على اختلاف مجالاتها.

فإن قيل: هل ما ورد في القرآن الكريم من الحديث عن السنن الاجتماعية يتحصَّل منه علم له مسائله ومعالمه؟

فالجواب: إن تأمَّل آيات القرآن الكريم، وتدبَّر مراميها لا يكاد يرتاب في أن لهذه السنن نصيبا وفيرا وحظا كبيرا منها، يؤذن بأنها علم جليل نجد «**في القرآن الحكيم أهم قواعده وأصوله**»[1].

والحق أننا نجد في كلام المتقدمين من يعُدُّ العلم بسنن الله تعالى من العلوم المحمودة النافعة، والتي ينبغي صرف الهمم لدراستها، والتعويل عليها، والإكثار من النظر فيها.

ومن هؤلاء حجة الإسلام أبو حامد الغزالي حين قسم العلوم إلى علم مذموم قليله وكثيره، وعلم محمود قليله وكثيره، وعلم يحمد منه بقدر الكفاية دون الاستقصاء، وعدَّ العلم بسنن الله تعالى من العلم المحمود قليله وكثيره فقال: «وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله **وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى**

(١) تفسير المنار(٩٦/٨).

سعادة الآخرة»[1].

ولعلَّ صاحب تفسير المنار قصد هذا حين قال: «العلم بسنن الله تعالى في عباده، لا يعلوه إلا العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، بل هو منه أو من طرقه ووسائله»[2].

وقد صرح في موضع آخر بأن السنن الإلهية ومنها السنن الاجتماعية حقيقة بأن تكون علما مدونا كالتوحيد والفقه، وأن هذا واجب على الأمة فقال: «إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا **يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة** لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وقد بينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه. والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها»[3].

ثانيا: السنن الاجتماعية وعلم الاجتماع

توجد صلةٌ وثيقة بين علم الاجتماع والسنن الاجتماعية وذلك أنَّ موضوع علم الاجتماع دراسة «علاقة الإنسان بالأفراد الذين يعيشون معه في المجتمع، وعلاقة هذا المجتمع بالمجتمعات الأخرى»[4]؛ فهو «مَعْنِيٌّ بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية»[5].

والسنن الاجتماعية موضوعها دراسة عادات الله في معاملته للبشر، بناء على سلوكهم وأفعالهم أفرادا وجماعات وأُمما.

قال صاحب تفسير المنار: «وقد نبهت آية آل عمران إلى أصل من أعظم أصول العلم التي تستفاد من السياحة واختبار أحوال الأمم، وهو العلم بسنن الله في شئون البشر العامة، المعبر عنه في هذا العصر بعلم الاجتماع وهي قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ سورة آل عمران:١٣٧»[6].

وقد ذكر السيد رشيد رضا عن شيخه الإمام محمد عبده أنه قال: «ولك أن تسميه علم السنن الإلهية أو علم الاجتماع أو علم السياسة الدينية. سَمِّ بما شئت فلا حرج في التسمية»[7].

---

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي(٣٩/١).

(٢) تفسير المنار(٤١٦/٧).

(٣) تفسير المنار(١١٤/٤).

(٤) مبادئ علم الاجتماع د. صلاح العبد صـ١.

(٥) علم الاجتماع - أنتوني غدنز- ترجمة وتقديم د. فتيز الصياغ صـ٤٧- المنظمة العربية للترجمة- مؤسسة ترجمان.

(٦) تفسير المنار(٢٥٦/٨).

(٧) تفسير المنار(١١٥/٤).

والحقُّ أنَّ علم الاجتماع بحاجة إلى أن يفيد من السنن الإلهية لا سيما الاجتماعية ، وأن تكون مصدرا أصيلا لمباحثه تطبيقا وتأصيلا؛ وذلك لأن للسنن الإلهية خصائص تميزها عن القوانين البشرية، والاجتهادات الإنسانية التي من شأنها أن تصيب وتخطيء، وتضطرب.

وبيان ذلك أننا نعدُّ علم الاجتماع البشري أحد أهم العلوم الإنسانية اليوم، ونناقش قضاياه، ونبحث في مسائله، ونقر بقواعده ومعطياته مع أنها تقوم على استقراء ما يصدر من المجتمعات، وملاحظة أحوالهم ومعلوم أن «المجتمع ليس ساكنا لا يعتريه التغير، كما أن المؤسسات الاجتماعية يعاد إنتاجها عبر الزمان والمكان من خلال سلوك الأفراد المتواتر المتكرر»[1] وذلك لأن علمية علم الاجتماع تعني منهجا عاما «يضم في داخله مناهج أو علوما تتفاوت في درجة الضبط والدقة»[2].

وأما سنن الله الاجتماعية فإنها صادرة عن علم الله بخلقه، وتدبيره لأحوالهم، وقدرته عليهم وإذا كان بعض علماء الاجتماع يُقسِّم علم الاجتماع إلى فروع؛ فإن هذه الفروع لن تعدم من الاطلاع على سنن الله الاجتماعية- وهي كثيرة- ما يكون معينا صافيا لها، ورافدا لأصولها.

ومن الأمثلة على ذلك ما سمَّوْه بعلم الاجتماع القانوني فإنك تجد في سنن الله الاجتماعية ما يُعدُّ موردا خصبا له تنظيرا وتطبيقا، ومن بين هذه السنن سنة ترتب الجزاء على العمل إذ إن لها أثرا كبيرا في دعم الضبط الاجتماعي، وتعديل سلوك الأفراد والجماعات والأمم.

وقد اعترف بعض علماء الاجتماع بـ» أن الدين أوسع نطاقا من القانون، ذلك لأن القانون ينظم علاقة الفرد بغيره من الأفراد، وهو يتفق مع الدين في ذلك، إلا أن الدين ينظم بالإضافة إلى ذلك علاقة الإنسان بربه وبنفسه»[3]. ولا شك أن علاقته بربه وبنفسه تؤثر على علاقته بغيره.

والحق أن دراسة علم الاجتماع البشري بمعزل عن الدين لا يؤتي ثماره المرجوة حين يكون في الإنسان جنوح إلى الشر، وميل إلى الزيغ، وتمرد على الفطرة ؛ ولذا قال صاحب تفسير المنار:» العلم بسنن الاجتماع والعمران لا يغني عن هداية الدين التي توقف أهواء البشر ومطامعهم أن تجمح إلى ما لا غاية له من الشر»[4] ولعلك تجد في سنة ترتب الجزاء على العمل ما فيه مقنع لما ذُكر هنا من أهمية الأخذ بسنن الله الاجتماعية.

---

(١) علم الاجتماع- أنتوني غدنز- ترجمة وتقديم د. فتيز الصياغ صـ٦٧٠.

(٢) المصدر نفسه صـ٦٧١.

(٣) علم الاجتماع القانوني والضبط الاجتماعي د. إبراهيم أبو الغار صـ٤٣- ٤٤.

(٤) تفسير المنار(١٩/٩).

المبحث الثاني: سنة ترتب الجزاء على العمل تأصيلا وتطبيقا في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: معالم المنهج القرآني في سنة ترتب الجزاء على العمل

إنَّ العملَ الذي لا يكون صاحبه مسئولا عنه حري ألَّا يُعوَّل عليه في إصلاح المجتمعات، ومِن ثَمَّ فإن الحاجة ملحة إلى وجود مسئولية يتحملها الإنسان يعرف خطرها، وأهميتها، وآثارها وهي مسئولية الأمانة التي حدثنا الله عنها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ سورة الأحزاب:٧٢ ، وللمفسرين فيها أقوال متعددة كالطاعة والفرائض وغير ذلك.

قال الحافظ ابن كثير: «وكلُّ هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، و إن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله»[(١)].

والطريق إلى هذه المسئولية هو الإلزام وذلك أنه «إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت المسؤولية، فلا يمكن أن تكون العدالة؛ وحينئذ تتفشى الفوضى، ويفسد النظام وتعم الهمجية»[(٢)].

وهذه المسئولية لا تنافي الحرية والإرادة اللتين يتمتع بهما الإنسان ، بل إنها من صفتهما، وذلك أن كلا من حرية الإنسان و إرادته مسئولة، وليست حرية مطلقة، ولا إرادة مفرطة.

والمسئولية كما عبر عنها بعض علماء النفس والاجتماع :» صفة يقال: إنها تميز الأنسان عن الحيوانات الأخرى»[(٣)].

وهذه المسئولية منها ما يتعلق بالفرد(تبعية فردية)، ومنها ما يتعلق بالأمة (تبعية جماعية).

ويستطيع الناظر في منهج القرآن الكريم في تقريره لسنة ترتب الجزاء على العمل استخلاص كثير من المعالم التي ينبغي الانتفاع بها في علم الاجتماع وغيره من العلوم الإنسانية.

و إليك أبرز هذه المعالم من خلال المنهج القرآني:

أولا- الإنسان في هذه الحياة مكلف بأوامر ونواهٍ.

خلق الله الإنسان، وأكرمه بالعقل والبيان، وسخر له المخلوقات، وأرسل إليه الرسل وأنزل عليهم الكتب ليتبع هذا الإنسان طريق الهداية، ويبتعد عن طريق الغواية فأمره الله ونهاه، ورغبه ورهبه، ووعده، وأوعده وهذا هو الابتلاء المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٩/٦).

(٢) دستور الأخلاق أ. د محمد عبد الله دراز صـ٢١

(٣) تكنولوجيا السلوك الإنساني- تأليف: سكينر- صـ٦٥ ترجمة: د. عبد القادر يوسف.

بَصِيرًا﴾ سورة الإنسان:٢ ؛ إذ قيل في تفسيره:» أي خلقناه مبتلين أي مريدين ابتلاءه بالأمر والنهي له»[١].

ثانيا- حكمة الله وعدلُه يقتضيان وجود التكاليف والأمر بالعمل، وترتيب الجزاء عليه

إن الله الذي كرَّم الإنسان وخلقه في أحسن تقويم لم يخلقه عبثا ولا باطلا، ولم يتركه سدى وإنما خلقه لحكمة وهي أمره ونهيه ثم ثوابه أو عقابه وهذا موافق لحكمته، وعدله.

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ **سورة المؤمنون: ١١٥**

قال البيضاوي: «أي: لم نخلقكم تلهياً بكم وإنما خلقناكم لنتعبَّدكم ونجازيكم على أعمالكم»[٢].

وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ **سورة القيامة: ٣٦** قيل: لا يؤمر ولا يُنهى وقيل: لا يبعث، وفي البعث ثواب وعقاب، واستظهر ابن كثير أنها تعم الحالين وتدل على المعنيين[٣].

وإذا كان الله عز وجل قد خلق السماوات والأرض بالحق كما بين في مواضع من كتابه؛ فإن الجزاء على العمل من هذا الحق والعدل، ولذا قرن الله كثيرا بين خلق السماوات والأرض والجزاء على العمل فقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ سورة الجاثية:٢٢، وقال عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ سورة النجم:٣١،

ثالثا- كل إنسان ذكرا كان أو أنثى مسئول عن عمله ويُجْزى به خيرا كان أو شرا.

هذه المسئولية مترتبة على الإلزام بالأمر والنهي(افعل ولا تفعل)؛ وذلك لأن «الإلزام بلا مسؤولية يعني القول بوجود إلزام بلا فرد ملزم»[٤].

وقد بيَّن الله عز وجلَّ أن كل إنسان مسئول عن عمله، ويُجزَى به في مواضع كثيرة من كتابه.

قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة الحجر:٩٢-٩٣ ، وقال تعالى: وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة النحل:٩٣، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ سورة فصلت:٤٦، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ سورة الطور: ٢١ أي: «بعمله مرهون عند الله تعالى فإن عمل صالحاً فكه وإلا أهلكه»[٥].

وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ سورة الإسراء:١٣ والمراد بالطائر في الآية الكريمة هو العمل على أحد الوجهين، وقيل: ما قدره الله على العبد

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي(٥٧٦/٣).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل(٩٧/٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم(٢٨٣/٨).

(٤) دستور الأخلاق في القرآن صـ١٣٦.

(٥) أنوار التنزيل(١٥٤/٥).

وفي التعبير بقوله: «في عُنُقِهِ» «تصويرٌ لشدة اللزوم وكمالِ الارتباط أي: ألزمناه عملَه بحيث لا يفارقه أبداً بل يلزمه لزومَ القِلادة أو الغُلّ للعنق لا ينفك عنه بحال»[1].

وتستحق الأنثى الجزاء على عملها حسنا كان أو سيئا كما يستحق الذكر الجزاء على عمله.

وقد وعد الله بذلك- ووعده الحق- فقال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ سورة آل عمران:١٩٥، وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة النحل:٩٧.

رابعا- بيان أن ليس للإنسان إلا ما سعى وأنه لا يتحمل أحد وزر غيره.

ومن دلائل ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ سورة النجم:٣٦-٣٩ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ سورة فاطر:١٨ والمعنى:» ولا تحمل آثمة إثم أخرى غيرها، وإن تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها، وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئا منها، ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ»[2].

وتكرر قوله تعالى:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ في مواضع من كتابه؛ لتأكيد هذا المعنى وتقريره.

وما ورد في القرآن الكريم من تحمل أحد وزر أحد فالمراد أنه يتحمل مثل وزره بسبب إضلاله له فيكون عليه وِزْران وزر الضلال، ووزر الإضلال دون أن ينقص من وزر المجرم شيئا قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ سورة النحل٢٥، فما يتحملونه من كسبهم وهو «حصة التسبب»[3]، ونظير ذلك من يدل غيره على هدى فإن له أجر الدعوة قال صلى الله عليه وسلم: «منْ دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثلُ أجورِ من تبعه، لا ينقص ذلك مِن أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالةٍ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»[4].

ويلحق بذلك عقاب أمة من الأمم ساءت أعمال أكثر أفرادها؛ بتتابعهم على الظلم والفساد، فيستحق العقاب معهم من ترك نهيهم عن المنكر، ورضي صنيعهم، ولو لم يباشره لتفريطه في مسئوليته المتعلقة بالتبعية الجماعية قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ سورة الأنفال:٢٥، وأما من أدى ما عليه من واجب، ونهى عن المنكر فينجيه الله تعالى من هذا

---

(١) إرشاد العقل السليم(١٦١/٥).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن(٣٥٣/١٩).

(٣) أنوار التنزيل(٢٢٤/٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه بتبويب النووي- كتاب العلم- باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٢٠٦٠/٤ح ٢٦٧٤).

العذاب قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ سورة الأعراف:١٦٥.

هذا. ومن الواجب علينا أن نراعي هذا المَعْلَم في الحياة العملية، والقوانين الاجتماعية فلا يعاقب غير الجاني، ولا يؤخذ أحد برئ بجناية غيره.

وقد ذكر الله عز وجل قول يوسف عليه السلام لإخوته حين طلبوا منه أخذ أحدهم مكان أخيهم الذي وُجد المتاع في رحله فقال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ سورة يوسف:٧٩، ونهانا الله سبحانه عن الجور في باب القصاص فقال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ سورة الإسراء:٣٣، ومن صور الإسراف: عقاب غير الجاني، أو الزيادة عليه.

خامسا- الجزاء من جنس العمل، والمماثلة بين العمل والجزاء

من القواعد المستقرة في الشريعة والتي أرساها القرآن في مواضع كثيرة من كتابه بيان أن الجزاء من جنس العمل خيرا كان أو شرا، وأنَّ العقوبة تكون على قدر الإساءة، وأنَّ هناك تماثلا بين العمل والجزاء عليه، وهناك آيات جاءت لتقرير هذا المعنى على عمومه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾سورة الصافات:٣٩ والمعنى: إلا جزاء ما كنتم تعملون أو إلا مِثل ما كنتم تعمون لكنه حذف المضاف وهو الجزاء أو المثل، وأقام المضاف إليه مقامه «للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد»[١]، وإنما قُدِّر المِثْل أو الجزاء؛ لأن العمل قد ذهب ووقع، وبقي أثره ولذا قال الشهاب الخفاجي تعقيبا على تقدير البيضاوي:» مثل ما كنتم تعملون: «**لأنّ الجزاء من جنس العمل لا عينه**»[٢]، ويصح أيضا أن يكون هذا من باب إطلاق السبب وهو العمل على المسبب وهو الجزاء المماثل للعمل لشدة التلازم بينهما، ونظير هذا أيضا قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ سورة النحل:١١١ فقوله: ﴿ مَا عَمِلَتْ ﴾» أي: جزاءَ ما عمِلت بطريق إطلاقِ اسمِ السببِ عَلى المسبَّب إشعاراً بكمال الاتصالِ بين الأجزية والأعمال»[٣] وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ سورة الرحمن:٦٠ ومن معاني الآية الكريمة:» هل جزاء الإحسان في العمل، إلا الإحسان في الثواب»[٤].

هذه آيات عامة في تقرير هذه القاعدة العظيمة، وهناك آيات كثيرة خاصة بأعمال معينة جاء فيها الجزاء موافقا للعمل، ومن جنسه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(١٧٢/٧).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي(٢٦٧/٧).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(١٤٤/٥).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(٧٠/١٠).

الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ سورة المجادلة:١١ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ سورة الحج:٤٠.

وقد قال ابن القيم : «قالوا: وقد دل الكتاب والسنة في أكثر من مائة موضع على أن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر»[١].

وهذه القاعدة ينبغي الاستفادة منها في الحياة الاجتماعية، وفي التقعيد لعلم الاجتماع القانوني، وعلم الإجرام وفي التطبيقات العملية كذلك، وأن نعلم أن بعض العقوبات حين لا تحقق الغرض المرجو منها فإن ذلك يعود غالبا إلى أنها ليست مماثلة ولا متوافقة مع العمل الذي تسبب في حصولها، وصدق ربي إذ قال: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ سورة الشورى:٤٠.

وقد قال بعض علماء النفس والاجتماع - في بيان العقاب بحق أو بعدل-: «جعل العقاب متناسبا مع الجريمة، العقاب الزائد عن الضرورة يكلف كثيرا وقد يطمس أو يقمع السلوك المرغوب، بينما العقاب القليل جدًّا يؤدي إلى الهدر والضياع إذا لم يكن له أثر ألبتة»[٢].

فإن قيل: نرى بعض أنواع الجزاء والعقاب في الشريعة الإسلامية يزيد عن العمل، ولا يماثله مثل حد الزنا جلدا لغير المحصن، ورجما للمحصن، وتخليد الكافر في النار مع أنه يعيش في الحياة مدة محدودة.
والجواب عن ذلك: أنه لما «كانت لذة الزنا تعمُّ البدن جعل الله جزاءهم بعموم إهلاكهم»[٣] فهذا الجزاء في الحقيقة من جنس العمل.

وكانت عقوبة الإصرار على الكفر والاستمرار عليه إلى الموت الخلودُ في النار؛ لأن الأعمال بالنيات، وهـؤلاء في الدنيا على عزم ثابت، وكفر مستمر إلى ما لا آخر له لو مكثوا الدهر كله، فالجزاء من جنس العمل[٤].

سادسا: من مقاصد ترتب الجزاء على العمل تحقيق العدل والإصلاح

رتَّب الله سبحانه الجزاء على العمل، وجعله من جنسه وهذا من أعظم مظاهر العدل بين الخلق ، ولذا فقد نفى الله المساواة بين المحسن والمسيء في كتابه العزيز، وأنكر على من جعلهما سواء في الجزاء قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ سورة: السجدة:١٨، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ﴾ سورة: غافر٥٨، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ

(١) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم حاشية مطبوعة مع عون المعبود(١٧٦/١٢).
(٢) تكنولوجيا السلوك الإنساني- تأليف: سكينر- صـ٦٥
(٣) فيض القدير لزين الدين المناوي(٢٦٦/١).
(٤) ينظر: نظم الدرر(٢٦/٧).

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ سورة ص:٢٨، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ سورة القلم٣٥-٣٦.

وبيَّن سبحانه أن الموازين يوم القيامة تقوم على العدل المطلق فقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ سورة الأنبياء:٤٧.

ولأهمية العدل في إصلاح أحوال العباد، واستقامة أمورهم فقد أمرنا الله بالعدل في الحكم بين الناس ولو كان ذلك مع أقرب قريب، أو مع أعدى الأعداء قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ سورة النساء:٥٨ ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ سورة النساء:١٣٥، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ سورة المائدة:٨

ومن جهة أخرى فإن للجزاء الدنيوي على العمل أثرا كبيرا في إصلاح العباد، وتقويم سلوكهم، والانتباه من غفلتهم، ومن ثمَّ كانت الحدود زواجر وجوابر، وكان التائب مأمورا بالعمل الصالح والإصلاح قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾سورة المائدة:٣٩، وقال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة آل عمران:٨٩.

ومن دلائل ذلك أيضا أنه لما رغب سبحانه في العفو قرن به الإصلاح؛ إشارة إلى أن الإصلاح هو المقصد من ترتب الجزاء على العمل ، فإذا تحقق مع العفو فلا حرج في العدول عن هذا الجزاء قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ سورة الشورى:٤٠.

سابعا: استعمال أسلوب الترغيب والترهيب في الحث على العمل الصالح وترك العمل السيّئ في القرآن الكريم قسط كبير من الترغيب والترهيب لما لهما من أثر كبير في شحذ الهمم وتقوية العزائم نحو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، وإحسان العمل.

ومن عادات القرآن الكريم الجمع بين الترغيب بالترهيب واقتران الوعد بالوعيد ولذلك أسرار منها «لئلا يبطر الناس بالنعمة ولا ييأسوا من الرحمة»[1].

ثامنا- استعمال أسلوب ضرب الأمثال ترغيبا في العمل الحسن، وتنفيرا من العمل القبيح.

الأمثال أحد أساليب القرآن الكريم المشهورة، ولضربها في القرآن الكريم أغراض متنوعة، ومن بينها الترغيب والتنفير ، وهذا ملحوظ في كثير من أوامر القرآن ونواهيه.

(١) التحرير والتنوير (٩٩/٢٣)، وينظر أيضا: (٨ب/١٧٣)، (٢٦٣/٢٢).

ومن الأمثلة في باب الترغيب قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة: ٢٦١ ومن الأمثلة في باب التنفير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ سورة الحجرات:١٢.

تاسعا- تقوية وازع المراقبة وإيقاظ الضمير والعقل.

للقرآن الكريم أسلوبه الفريد في دعوة العباد إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي، ومراعاة الحقوق وتأدية الواجبات ومن صور هذا الأسلوب:

أ- تذكير العباد بأن الله مراقب لأعمالهم ناظر إليهم مطلع عليهم لا تخفى عليه خافية ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ سورة غافر:١٩، وقوله تعالى بعد أن ذكر بعض أحكام الخطبة من المعتدة عن وفاة زوجها: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ سورة البقرة:٢٣٥.

ب- تذكير الإنسان بما قطع به على نفسه من عهد، والتزم به من وعد وميثاق كالسمع والطاعة والاستقامة على العمل الصالح ليراجع نفسه، وليراقب عمله، ويحاسب نفسه قبل أن يُحاسب وفي ذلك إيقاظ لضميره ومخاطبة لعقله.

قال تعالى: : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ سورة المائدة:٧ ، وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة الحشر: ١٨.

ج- نعي الله على أولئك الذين ارتكبوا المحرمات ، وأَتَوْا بالأعمال القبيحة كيف أنهم لم يتفكروا ولم يتعقلوا قبحَ ما يصنعون، وضلالَ ما يعملون ولذا كثُر في القرآن الاستفهام الإنكاري والتوبيخي(أفلا يعقلون)، (أفلا تعقلون).

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ سورة الطور:٣٢ والأحلام: العقول ومِن شأنها أن تأمر صاحبها وتنهاه ، ولذا قيل للعقل نُهية وللعقلاء: أولو النُّهى.

عاشرا: بيان أن التكاليف الشرعية منوطة بالقدرة والاستطاعة.

مَنْ كلَّف أحدا بعمل يعلم عجزه عنه، وأنه لا يطيقه فإنه لا يريد لهذا العمل نجاحا، ولا فلاحا، ولا لصاحبه سدادا أو صلاحا، وحينئذٍ فإن العقاب على ترك هذا العمل، أو الإتيان به منقوصا غير مقبول شرعا، ولا شك أن هذا مما ينبغي تجنبه في حياتنا الاجتماعية تنظيرا وتطبيقا.

وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أنه لم يكلف عباده إلا بما يستطيعون، وعليه يقدرون فقال عزَّ وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ سورة البقرة: ٢٨٦ ، وقال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾سورة التغابن:١٦،

ويترتب على ذلك أن الإنسان إذا عجز عن الواجب سقط عنه، أو خفف عنه فيه، وإذا اضطر إلى ارتكاب محرم رخص له فيه بقدر الضرورة ولذا ف» من قواعد الشرع الكلية أنه لا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة»[1].

ومن دلائل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ولذا فإن غير المستطيع يسقط عنه وجوب الحج، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ سورة الأنعام: ١١٦.

المعلم الحادي عشر- ترتب الجزاء على العمل متوقف على تحقق الشروط وانتفاء الموانع

إن العمل الذي يصدر عن الإنسان دون قصد منه، ولا اختيار ، ولا علم حقيقٌ بألا يتساوى مع العمل الذي صدر عن قصد واختيار وعلم؛ ولذا فقد ذكر الأصوليون شروطا للتكليف منها ما يعود إلى المكلَّف، ومنها ما يعود إلى المكلف به.

والقرآن الكريم قد نبهنا إلى مراعاة ذلك عند الحكم على العمل وصاحبه؛ فقد يكون الإنسان أهلا للتكليف لكن يوجد ما يمنع من ترتيب الجزاء عليه قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ سورة الأحزاب:٥ فالخطأ والنسيان يرفعان الإثم عن صاحبهما، وقد أجاب الله دعاء عباده: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾سورة البقرة:٢٨٦ فقال الله عز وجل:» نعم»، وفي رواية: «قد فعلت»[2].

ورفع الإثم لا ينافي ترتب بعض الآثار الدنيوية على فعلهما؛ ولذا وجبت الدية في القتل الخطأ بشروطها؛ وذلك لأن حقوق الخلق لا يُقبَل الاعتداء عليها ولو بالخطأ.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا... ﴾سورة النساء:٩٢ ومن عظمة هذا الدين أنه حفظ حق أولياء المقتول، ولم يغلظ على القاتل خطأ فجعل الدية على العاقلة ومؤجلة لثلاث سنين.

قال القرطبي: «ثبتت الأخبار عن النبي المختار محمد صلى الله عليه وسلم أنه قضى بدية الخطأ على العاقلة، وأجمع أهل العلم على القول به»[3].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم(٢٢٧/٣).

(٢) أخرج هاتين الروايتين الإمام مسلم في صحيحه بتبويب النووي- كتاب الإيمان- باب بيان قوله تعالى: {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه} [البقرة: ٢٨٤] (١١٦/١حديث١٢٦،١٢٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٣٢٠/٥).

وقال الترمذي: «وقد أجمع أهل العلم على أن الدية تؤخذ في ثلاث سنين، في كل سنة ثلث الدية، ورأوا أن دية الخطأ على العاقلة»[1].

وما أحوج أساطين علم الاجتماع بشتى فروعه إلى الوقوف على هذه الأحكام السامية التي تراعي الحقوق، ولا تقضي لأحد على حساب الآخر.

ونجد في القرآن أيضا الترخيص في ارتكاب جرم كبير وذنب عظيم عند الإكراه عليه إبقاء على النفس البشرية وحماية لها من التلف، ولم يرتب الجزاء على هذا القول المنكر إذا كان القلب مطمئنا بالإيمان فقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة النحل:١٠٦ .

ونجد في القرآن ما يدل على أنَّ العبد يكون معذورا إذا لم تقم الحجة عليه، ولم تتتفِ الجهالة عنه قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ سورة النساء: ١٦٥.

قال علاء الدين السمرقندي: «كون المأمور به معلومًا للمأمور، أو ممكن العلم به باعتبار قيام سبب العلم - شرط صحة التكليف»[2].

وهذا المعلم يفيدنا في الحياة الاجتماعية؛ فلا نتعجل بإصدار الأحكام على أفعال الناس حتى نتحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع، ولذلك أثره في دراسة المشكلات الاجتماعية وأسبابها.

المعلم الثاني عشر: استدراج الجاني في الدنيا، وإملاؤه لا يعني عدم مجازاته عليها.

قد يؤخرُّ الله عقوبة الجاني المعتدي ليس إكراما له، ولا غفلة عنه، وإنما استدراجا له، وإملاء.

ويكون تأخيرها زيادة في عقوبته حين يزداد في غيه وفجوره قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ سورة إبراهيم:٤٢، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ سورة آل عمران:١٧٨ ف» هذا الإملاء للكافرين ليس عناية من الله بهم، وإنما هو جري على سنته في الخلق، وهي أن يكون ما يصيب الإنسان من خير وشر هو ثمرة عمله. **ومن مقتضى هذه السنة العادلة** أن يكون الإملاء للكافر علة لغروره، وسببا لاسترساله في فجوره، فيوقعه ذلك في الإثم الذي يترتب عليه العذاب المهين»[3]. وبهذا يتبين أنه لا تعارض بين ترتب الجزاء على العمل، وإملاء الظالمين واستدراجهم، وهكذا سنن الله كلها تجتمع وتتآلف، ولا تتخالف.

---

(١) سنن الترمذي(٦٦٠/٤).

(٢) ميزان الأصول في نتائج العقول لعلاء الدين السمرقندي(١٧١/١).

(٣) تفسير المنار(٢٠٥/٤).

كانت هذه- بحسب استقرائي- أبرز معالم المنهج القرآني في سنة ترتب الجزاء على العمل، والمتأمل في آيات القرآن الكريم يمكنه أن يزيد عليها، أو يضم إليها ما هو من جنسها، غير أن هذا القدر من المعالم كافٍ في الدلالة على وفاء القرآن بالمنهج الأمثل والطريق الأقوم للربط بين العمل والجزاء تأصيلا وتقعيدا، وبقي أن نذكر طرفا من الشواهد التطبيقية على هذه السُّنَّة من خلال آيات القرآن الكريم وقصصه وهذا هو موضوع المطلب الثاني.

المطلب الثاني: شواهد قرآنية تطبيقية لسنة ترتب الجزاء على العمل.

إنَّ الناظر في آيات القرآن الكريم ليقف على أمثلة كثيرة، ونماذج متنوعة تبين لنا أن ترتب الجزاء على العمل سنة من سنن الله في خلقه لا تختلف ولا تتخلف، ولا تتبدل ولا تتغير، وينبغي للنظار في علم الاجتماع البشري أن يُحْسِنوا توظيفها، وأن يراعوا ضوابطها ومعالمها ، وأن يفيدوا من تطبيقاتها ونماذجها التي وردت في القرآن الكريم.

وفي هذا المطلب أعرض لنبذة يسيرة، ونماذج قليلة من تطبيقات هذه السنة الاجتماعية.

وبإمكان المرء أن يعود إلى القرآن الكريم؛ ليقرأه ويستخرج منه ما يشفي صدره وينير عقله في تقرير هذه السنة الاجتماعية وتطبيقاتها.

ويمكننا تقسيم هذه التطبيقات القرآنية لهذه السنة من جانبين:

الجانب الأولى: سنة ترتب الجزاء على العمل في الدنيا والآخرة.

الجانب الثاني: سنة ترتب الجزاء على العمل في حق الأفراد والجماعات والأمم.

وفي كل جانب منهما قد يكون العمل حسنا، وقد يكون سيئا فيترتب عليه الجزاء ويكون من جنسه.

والقاعدة العامة في هذا الجزاء المترتب على العمل أن» مجازاة الله عز وجل للكافر والمسيء بالحق والعدل، ومجازاته للمحسن بالإحسان والفضل»[1].

الجانب الأولى: سنة ترتب الجزاء على العمل في الدنيا والآخرة.

مما يتميز به الجزاء المترتب على العمل في ضوء القرآن الكريم أنه لا يقتصر على الجزاء الدنيوي وحده، أو الجزاء الأخروي وحده، وإنما يعم الجانبين، ويشمل الجزاءين.

وهو بهذا يربط بين العامل ودنياه وآخرته، ويجعله موصولا بعالم الغيب والشهادة، وهو ما يفتقده النظار والقانونيون من علماء الاجتماع وغيرهم حين لا يكون للدين نصيب من قوانينهم، أو صدى في توجهاتهم.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٢١١/١٢).

ولم يقتصر القرآن الكريم على الجزاء الأخروي؛ لأن الدين به صلاح الدنيا والآخرة، وما من شك أن ترك المجرمين دون عقاب في الدنيا، وإهمال المحسنين دون ثواب في الدنيا يؤذن بفساد الأحوال واختلال النظام، وضياع الحقوق، وانتشار الفوضى.

وقد ذكر الله عز وجلَّ ذا القرنين الذي مكَّن له في الأرض فقال تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ سورة الكهف٨٧-٨٨

وفي ذكر الجزاء الأخروي إيقاظ لضمير الإنسان، ودعوة له لمراقبة خالقه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

وفي هذا فوائد كثيرة منها: أن يعلم أن من أفلت من عقاب الدنيا مع استحقاقه للعقاب فإنه لا يفلت من عقاب الآخرة الذي هو أشد وأبقى، **ومنها تسلية المظلوم،** ومَن لم يُوفَّ حقه في الدنيا حين يعلم أن جزاء الآخرة فيه الوفاء والتمام فلا نقص ولا هضم لحقه قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ سورة طه:١١٢، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سورة آل عمران:١٨٥

والمراد توفيه الأجور والعقاب أيضا؛ ولذا قال القاضي ابن عطية الأندلسي:» وخصَّ تعالى ذكر «الأجور» لشرفها وإشارة إلى مغفرته لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته، ولا محالة أن المعنى: أن يوم القيامة تقع توفية الأجور وتوفية العقاب»[1].

وإذا كانت هناك آيات قرآنية ورد فيها الجزاء الدنيوي فقط، وأخرى ورد فيها الجزاء الأخروي فقط؛ فإن هناك آيات قرآنية كثيرة ورد فيها الجمع بين الجزاءين فيحمل ما ورد الاقتصار فيه على أحد الجزاءين على أنه ذكر بعض الجزاء لا جميعه.

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها الجمع بين الجزاءين الدنيوي والأخروي قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ سورة النحل:٣٠، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ سورة النحل:٤١.

ومن التطبيقات القرآنية على الجزاء الدنيوي لمن أحسن عمله قصة نبي الله يوسف عليه السلام إذ إنه بسبب إحسانه أعلى الله ذكره ومكن له في الأرض، وقد ضرب لنا النموذج الجليل في العفة حين قابل مراودة امرأة العزيز بالاستعصام دون التفات إلى حرصها الشديد على استجابته لطلبها وتهيئتها كل الأسباب الداعية لذلك، وتوعدها له إن خالف أمرها بل آثر السجن على الفاحشة ، ثم صبر على

(١) المحرر الوجيز لابن عطية(٥٥٠/١).

البقاء في السجن حتى تثبت براءته فكان الجزاء من جنس العمل فمكن الله له، وجعله على خزائن الأرض، وأظهر براءته، وأعلى كلمته، ونصره على إخوته، وحقق رؤياه إلى غير ذلك مما تجده في هذه القصة الجليلة التي صدق الله فيها إذ قال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ سورة يوسف: ٣، وقد قال تعالى في شأن يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ سورة يوسف:٥٦-٥٧، وقال تعالى ذاكرا قول إخوة يوسف له: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ سورة يوسف:٩١.

ومن التطبيقات القرآنية على الجزاء الدنيوي لمن أساء العمل:

١- قصة قارون حين تكبر في الأرض بغير الحق، وكذب بموسى عليه السلام ، وبغى على قومه، ولم يشكر نعمة الله عليه، وخرج على قومه في زهو وتكبر، وتعالٍ وافتخار، وبطر، وأشر فكان الجزاء من جنس العمل **قال تعالى:** ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ سورة القصص: ٨١.

٢- وقصة فرعون الذي تكبر وتجبر وقال أنا ربكم الأعلى وجحد بآيات الله ونادى في قومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ سورة الزخرف:٥١ جازاه الله من جنس عمله فأغرقه وجعل الأنهار تجرى من فوقه فغرق بالماء الذي به تكبر.

والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصر، وفيها عظات وعبر ودلائل وآيات.

وصدق الله إذ قال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ سورة العنكبوت:٤٠

ومن التطبيقات القرآنية لترتب الجزاء الأخروي على العمل الحسن: جزاء من يقوم بالليل، والناس نيام في غفلة عنه قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة السجدة:١٦-١٧

قال الحافظ ابن كثير: «أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، **لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقا؛ فإن الجزاء من جنس العمل**»[1].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣٦٥/٦).

ومن التطبيقات القرآنية لترتب الجزاء الأخروي على العمل السيئ ما ذكره عن فرعون الذي أضل قومه واستخفهم فأطاعوه فال تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ سورة هود: ٩٨-٩٩.

الجانب الثاني: سنة ترتب الجزاء على العمل في حق الأفراد والجماعات والأمم.

الشواهد السابقة لترتب الجزاء على العمل كانت في حق الأفراد كسيدنا يوسف عليه السلام نموذجا لصاحب العمل الحسن، وقارون وفرعون نموذجين لصاحب العمل السيئ.

وأما عن شواهد هذه السُنَّة في حق الجماعات والأمم فهي كثيرة جدا، وهي حقيقة بأن يفيد منها علماء الاجتماع فتمتد أنظارهم إلى الجانبين معًا وهما: إصلاح الفرد، وإصلاح المجتمع.

ودونك نماذج يسيرة من الشواهد القرآنية لهذه السُنَّة في حق الجماعات والأمم

من الشواهد على سنة ترتب الجزاء الحسن على العمل الحسن في حق الأمم جزاء قوم سيدنا يونس عليه السلام حين آمنوا بربهم فانتفعوا بهذا الإيمان، وكشف الله عنهم العذاب، ومتعهم متاعا حسنا في الحياة بالرغم من أن رسولهم يونس عليه السلام خرج من بين ظهرانيهم، لكن ذلك لم يكن عائقا دون قبول توبتهم وإيمانهم، وفي هذا دليل واضح على أن هذه السنة لا مجاملة فيها لأحد، وأنها لا تتبدل ولا تتحول.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ سورة يونس:٩٨

من الشواهد على سنة ترتب الجزاء على العمل السيئ في حق الجماعات والأمم

١- قصة أصحاب الجنة الذين أنعم الله عليهم ببستان مشتمل على أنواع الثمار والفواكه ف» حلفوا فيما بينهم ليجُذُنَّ ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء»[(١)]، «فبيتوا أمرهم وعزمهم على هذا، فبعث الله عليها بالليل طائفا من نار

أو غير ذلك، فاحترقت، فقيل: أصبحت سوداء، وقيل: بيضاء كالزرع اليابس المحصود، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم قد أخطؤوا الطريق، ثم تبينوها فعلموا أن الله تعالى أصابهم فيها»[(٢)]، فانظر كيف جازاهم الله عز وجل على سوء نيتهم، وخبث طويتهم في هذا العمل، فمنعهم الله من الخير الذي كانوا ينتظرونه من ثمار البستان وفواكهه كما عزموا على منع المساكين حقهم فيها والجزاء من جنس العمل.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(١٩٦/٨).

(٢) المحرر الوجيز(٣٤٩/٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ سورة القلم:١٧-٣٣.

٢- قصة سبأ وهي مدينة تعرف بمأرب باليمن سميت باسم قبيلة تنسب إلى جدٍّ لها من العرب يقال له سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان» وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مذر»[1]، وحدَّثنا اللهُ عز وجلَّ عنهم فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

فانظر كيف أنهم قابلوا النعم المتتابعة التامة في مساكنهم وبساتينهم وأكلهم وأَمْنهم وما كانوا يعيشون فيه من «**لذة كاملة خالية عن المفاسد العاجلة والمآلية**»[2] ، وما كانوا يتمتعون به خارج بلادهم في أثناء أسفارهم من العمارة بكثرة القرى والأمان فكفروا وبطروا فأهلكهم الله وجازاهم الله على ظلمهم وبغيهم، ولا يجازي هذه المجازة بالاستئصال إلا الكفور.

فإن قيل: إن الآية حصرت هذا الجزاء في الكفور، ومعلوم أن الجزاء عام لا يختص بالكفور فيجاب عن ذلك بثلاثة أوجه: «الأول: أن المعنى ما نجازي هذا الجزاء الشديد المستأصل إلا المبالغ في الكفران، الثاني: أن ما يفعل بغير الكافر من الجزاء ليس عقابا في الحقيقة؛ لأنه تطهير وتمحيص، الثالث: أنه لا يجازى بجميع الأعمال مع المناقشة التامة إلا الكافر»[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٥٠٤/٦).

(٢) البحر المحيط(٥٣٤/٨).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي صـ١٩٠.

والمقصود أن هذه القصة عبرة وعظة لكل أمة تكفر بآيات الله وتجحد نعم الله عليها؛ لئلا يصيبها مثل ما أصاب قبيلة سبأ.

قال القاضي ابن عطية: «هذا مثل لقريش بقوم أنعم الله عليهم وأرسل إليهم الرسل فكفروا وعصوا، فانتقم الله منهم، أي فأنتم أيها القوم مثلهم»[1].

وقريب من مقصد هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ سورة النحل:١١٢

والجمهور على أنَّ هذه القرية مكة، ورجح بعضهم أنه قرية غير معينة أو أنها غير مكة.

قال الإمام الرازي: «والأكثرون من المفسرين على أنها مكة، والأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلا لمكة، ومَثَلُ مكة يكون غير مكة»[2].

وحاصل الأمر: أن هذه الشواهد القرآنية وغيرها كثير مما ذكره الله عن نجاة رسله والمؤمنين بهم، وهلاك الكافرين الظالمين في كل أمة تبين لنا أن العاقبة الحميدة والجزاء الأوفى لمن كان عمله حسنا، وأن العاقبة الوخيمة والمجازاة بالعقوبة لمن ساء عمله، وما ربك بظلام للعبيد.

والقاعدة العامة في ذلك: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ القصص:٥.

وختاما فقد كانت هذه شواهد حقيقية وواقعية أرشدنا إليها القرآن الكريم؛ لنتعرف بها على سنته في خلقه، ولنفيد منها في حياتنا العملية، وفي تقويم علومنا، وإصلاح معاملاتنا.

ولعله ظهر لك من خلال ما تقدم أن سنة ترتب الجزاء على العمل إحدى سنن الله الاجتماعية التي وردت فيها آيات كثيرة ، وشواهد متنوعة، وأنها تشتمل على سنن أخرى جزئية كإنجاء المؤمنين ونصرهم، وإهلاك الظالمين ودحرهم، وفلاح المتقين وسعادتهم، وشقاء الكافرين وخسرانهم إلى غير ذلك مما ينضوي تحت هذه السُنَّة» ترتب الجزاء على العمل».

وهكذا جمع القرآن الكريم في بيان هذه السنة الاجتماعية بين التقعيد والتمثيل والتأصيل والتطبيق والله ولي التوفيق.

---

(١) المحرر الوجيز(٤١٣/٤).

(٢) مفاتيح الغيب(٢٧٨/٢٠).

الخاتمة

نسأل الله حسنها - وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات:

أسفر البحث عن نتائج من أبرزها:

١- وجود علاقة وطيدة بين السنن الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم، وعلم الاجتماع البشري على اختلاف مجالاته وفروعه.

٢- للسنن الإلهية عامة، والاجتماعية منها خاصة خصائص ومزايا تجعلها جديرة بالانتفاع بها في ضبط العلوم الإنسانية عامة، والاجتماعية خاصة.

٣- للمنهج القرآني في سنة ترتب الجزاء على العمل معالم واضحة يجدر بنا الإفادة منا والانتفاع بها في حياتنا العلمية والعملية، وقد ذكرت منها اثني عشر معلما.

٤- شواهد القرآن الكريم التطبيقية على سنة ترتب الجزاء على العمل كثيرة جدا وهي تنقسم إلى: أ- شواهد لترتب الجزاء الدنيوي على العمل حسنا أو قبيحا.

ب- شواهد لترتب الجزاء الأخروي على العمل حسنا أو قبيحا.

وهذه الشواهد منها ما يتعلق بالأفراد، ومنها ما يتعلق بالجماعات أو الأمم.

٥- من أبرز المعالم القرآنية لهذه السنة تقرير أن الإنسان في هذه الحياة مكلف ، وأنه مسئول، محاسب على عمله، وأن الجزاء من جنس العمل، ولا يتحمل أحد وزر غيره، وأن أسلوب القرآن متنوع في التحفيز لعمل الخير، والتنفير من عمل الشر.

أهم التوصيات:

١- دراسة أفراد السنن الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم، وبيان أثرها في الناحية العلمية والعملية، ووجه ارتباطها بالعلوم الإنسانية، وتأثيرها فيها.

٢- تتبع المنهج القرآني في تقرير السنن الإلهية عامة، والسنن الاجتماعية خاصة، وتجلية ذلك في ملامح عامة، ومعالم واضحة.

٣- دراسة الشواهد التطبيقية في بيان نجاة المؤمنين، وهلاك الكافرين الظالمين لتجلية القاعدة المستقرة في الشريعة: «الجزاء من جنس العمل».

٤- دراسة الاستثناءات الواردة على شمولية هذه السنن الاجتماعية واطرادها، وبيان حقيقة أمرها، وإزالة الإشكال عنها.

٥- دراسة سنن الله الاجتماعية من خلال تفسير المنار ففيه تحريرات وفوائد جمة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..

أهم المصادر والمراجع

- بعد كتاب الله عز وجلَّ.

١. **إحياء علوم الدين**- لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ت٥٠٥هـ- دار المعرفة - بيروت.

٢. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** لأبي السعود العمادي ت٩٨٢هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣. **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** للشوكاني ت١٢٥٠هـ-دار الكتاب العربي.

٤. **إعجاز النظم القرآني في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية** د توفيق بن علي زبادي-دار الحضارة للنشر والتوزيع-الطبعة الأولى١٤٣٦ه-٢٠١٥م.

٥. **إعلام الموقعين عن رب العالمين** لابن القيم ت٧٥١هـ- دار الكتب العلمية - بيروت.

٦. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ت٦٨٥هـ - المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ.

٧. **البحر المحيط في التفسير**- لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ت ٧٤٥ هـ- المحقق: صدقي محمد جميل - الناشر: دار الفكر - بيروت - الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٨. **التحرير والتنوير**- لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت١٣٩٣هـ - الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس - سنة ١٩٨٤ هـ.

٩. **التعريفات**- لعلي الشريف الجرجاني ت٨١٦هـ- دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١. **تفسير القرآن العظيم** لإسماعيل بن عمر بن كثير ت٧٧٤هـ- المحقق: سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع- الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢. **تفسير المنار**لمحمد رشيد رضا ت ١٣٥٤هـ-ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب-سنة ١٩٩٠م.

٣. **تكنولوجيا السلوك الإنساني**- تأليف: سكينر-ترجمة: د. عبد القادر يوسف- ومراجعة: د. محمد رجا الدرني-إصدار عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

٤. **تهذيب سنن أبي داود و إيضاح علله ومشكلاته** لابن القيم ت ٧٥١هـ- حاشية مطبوعة مع عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ١٣٢٩هـ- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

٥. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)** لمحمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ- دار هجر - الطبعة الأولى١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦. **الجامع لأحكام القرآن** لأبي عبد الله القرطبي ت ٦٧١هـ - دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة الثانية١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٧. **حاشية الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البيضاوي عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي** لشهاب الدين أحمد الخفاجي ت١٠٦٩هـ - دار النشر: دار صادر - بيروت.

٨. **دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن** لمحمد عبد الله دراز ت١٣٧٧هـ -تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين- مؤسسة الرسالة- دار البحوث العلمية.

٩. **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب** لمحمد الأمين الشنقيطي ت١٣٩٣هـ- الناشر : مكتبة ابن تيمية - القاهرة - الطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

١٠. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي ت ١٢٧٠هـ- المحقق: علي عبد الباري عطية- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١١. **شرح التلويح على التوضيح** لسعد الدين التفتازاني ت٧٩٣هـ-مكتبة صبيح بمصر.

١٢. **علم الاجتماع**- أنتوني غَدِنز- ترجمة وتقديم د. فتيز الصياغ - المنظمة العربية للترجمة- مؤسسة ترجمان.

١٣. **علم الاجتماع القانوني والضبط الاجتماعي** د. إبراهيم أبو الغار - الناشر: مكتبة نهضة الشرق - جامعة القاهرة.

١٤. **فيض القدير شرح الجامع الصغير** لزين الدين المناوي ت (١٠٣١هـ)- المكتبة التجارية الكبرى - مصر- الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

١٥. **لسان العرب** لابن منظور ت٧١٠هـ- دار صادر بيروت- الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

١٦. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** لابن عطية الأندلسي ت ٥٤٢ هـ-المحقق عبد السلام عبد الشافي- ط: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى- ١٤٢٢ هـ.

١٧. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** لأبي البركات النسفي ت٧١٠هـ- دار الكلم الطيب، بيروت.

١٨. -**معجم ألفاظ القرآن الكريم**- مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية- الطبعة الثانية- **سنة١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.**

١٩. **المفردات في غريب القرآن** للراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٢٠. **مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم** د. صديق عبد العظيم -مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد ١٢ العدد٣١، جامعة الكويت- ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢١. مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ت٣٩٥هـ- عبد السلام محمد هارون- الناشر: دار الفكر.

٢٢. ميزان الأصول في نتائج العقول لعلاء الدين السمرقندي ت٥٤٠هـ-مطابع الدوحة الحديثة، قطر- الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

٢٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- لإبراهيم بن عمر البقاعي ت٨٨٥هـ- الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٤. النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي ت٤٥٠هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.